بسم الله الرحمن الرحيم

شرح متن ستة مواضع من السيرة

الموضع الأول

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – تأمل – رحمك الله تعالى – ستة مواضع من السيرة كما ينبغي ، وافهمها فهماً حسناً ، لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه ، فإن كثيرا ممن يدعي الدين ويعد من الموحدين لا يفهم هذه الستة كما ينبغي.

الموضوع الأول: { قصة نزول الوحي} على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وفيها أن أول آية أرسله الله بها : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ) الى قوله : (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) . فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان ، مثل: الزنا وغيره ، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون أشياء كثيرة من العبادات يتقربون بها إلى الله ، مثل: الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك ، وأعظمها عندهم الشرك ، فهو أعظم ما يتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا : { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ، ويقولون: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله } وقال تعالى : (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) .

فأول ما أمر الله بالإنذار عنه ، قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغير ذلك هو هذه العبادات ، وعرفت أن منهم من تعلق على الصالحين والملائكة والأولياء والأصنام ،ويقولون : ما نريد إلا شفاعتهم! ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسله الله بها .

فإذا أحكمت هذه المسألة الأولى فيا بشراك . . .

خصوصاً إن عرفت أن ما في الإسلام بعدها أعظم من الصلوات الخمس ، ولم تفرض إلا ليلة المعراج – سنة عشر ، بعد حصار الشعب ، وبعد موت أبي طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين – فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة الكبيرة والعداوة البالغة . . . كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة بحول الله.

أقول : هذه الرسالة الصغيرة للإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عنوانها **ستة مواضيع من السيرة** ، والذى يظهر أن هذا العنوان اجتهاد من النساخ وأن العنوان الصحيح للرسالة **ستة مواضع من السيرة** لأن الرسالة تدور حول موضوع واحد وهو أهمية الصدع بتوحيد الله سبحانه وتعالى والبراءة من الكفر وأهله ، موضوع واحد تدور عليه هذه المواضع التي أوردها الإمام محمد بن عبد الوهاب في هذه الرسالة

ولنا قبل الدخول في هذه المواضع وقفات سريعة :

الوقفة الأولى : يلاحظ الناظر في رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تنوع الأساليب لديه في تقرير دعوته ، فهو تارة يكتب كتاب عبارة عن آيات وأحاديث على أبواب التوحيد وسماه كتاب التوحيد ، وتارة يكتب كتاب يذكر فيه مسائل الجاهلية لينبه الناس إلى عدم التشبه بأمور الجاهلية ، وتارة يكتب كتاب عبارة عن سؤال وجواب في تلقين العقيدة ، والآن هنا ترونه يوظف مواضيع السيرة لتقرير دعوة التوحيد ومقصود هذه الوقفة بيان شدة اهتمام الإمام - رحمه الله - محمد بن عبد الوهاب في تقرير التوحيد وتقديم مثال للدعاة إلى شرع سبحانه وتعالى أن قضية الدعوة ممكن للداعية أن ينوع فيها أساليبه في حدود الوارد عن رسول الله ﷺ وله أن يوظف كل ما ورد في تقرير الحق ، كما ترون الإمام هنا يوظف مواضع من السيرة في تقرير هذه الدعوة التي يدعوا إليها وهى دعوة التوحيد وإخلاص العبادة لله رب العالمين

الوقفة الثانية : فيه بيان **الفرق بين السيرة والشمائل** والفرق يسير فإن **السيرة ترصد حدثا والشمائل ترصد خلقا** فأنت حينما تتكلم عن سيرة الرسول ﷺ إنما ترصد أيام الرسول ﷺ والأحداث التى مرت به وغزواته وما كان به فأنت ترصد أحداثا وحينما تتكلم عن الشمائل فأنت تتكلم عن أخلاقه ﷺ وأوصافه ﷺ والسيرة من السنة بهذه النظرة أنك تروى ما جاء فى هذا الباب وتروى ما جاء فى هذا الباب وتروى ما جاء فى هذا الباب وخصوصيتها فى جهة أنها ترصد الأحداث بخلاف السنة فإنها ترصد الاحداث وترصد الأقوال وترصد الأفعال وترصد التقريرات ولذلك الإمام البخارى سمى كتابه **الجامع المختصر الصحيح لسنن الرسول ﷺ وأيامه وغزواته وسفره** .. الخ العنوان الذى ذكره - رحمه الله - إذن السيرة ترصد أحداث والشمائل ترصد أوصاف

الوقفة الثالثة : من أحسن الطرق فى مناقشة المخالف فى مسائل تتعلق بالشرع ، الرجوع إلى مواضيع السيرة لماذا ؟ لأن السيرة النبوية تطبيق عملى لسنته ﷺ فإذا قرأت آية أو قرأت حديث أو تعلمت مسألة وما عرفت كيف تطبيقها ستجد تطبيقها فى السيرة النبوية ، يعنى مثلا على سبيل المثال : ما هو الموقف الصحيح فى التعامل مع الكفار ؟ هل يجوز أن نجيب دعوتهم ؟ هل يجوز أن يجلسوا فى مجالسنا ؟ هل يجوز أن يختلطوا بنا فى البيع والشراء ؟ تجد نصوص وأحاديث لكن أقول لك اترك هذا وتعال إلى سيرة الرسول ﷺ تجد أن رسول الله ﷺ كان يسمح لليهود أن يجلسوا معه فى المجلس حتى أنهم كانوا يتعاطسون يرغبون فى أن يشمتهم الرسول ﷺ ويقول يرحمكم الله فكان يقول بدلا منها يهديكم الله ، كان له خادم يهودى ، كان لا يرد الدعوة إلى طعام إذا جاءته من يهودى أو يهوديه ، حتى إن اليهودية التى فى خيبر التى دعته إلى شاة مسمومة تسببت فى موته ﷺ فإنه ﷺ فى آخر أيامه استشعر وجع ذلك السم وقال : " ما أرى إلا أن الأكلة التى أكلتها فى خيبر قد عاودتنى وهذا أوان انقطاع أظهرى " ، والأظهر : العرق الذى يكون فى الظهر متصلا بالرقبة يمد الجسد بالحياة وهو من أقوى العروق التى فى بنى آدم التى تعطيه القوة قال : " هذا أوان انقطاع أظهرى " فمات رسول الله ﷺ متأثرا بسم تلك الشاة المسمومة

التى دعته إليها يهودية ، مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى ، هذه مواضع من السيرة لا أحد يستطيع يجادلك فيها ولا يأخذ معاك ولا يعطى وهى تطبيق عملى للباب انتهى إذن

أول ميزة للسيرة النبوية : أنها تطبيق عملى لسنة الرسول ﷺ ما هى محل للرد والأخذ هى محل لبيان صحة المعنى المعين فى تطبيق فهم حديث الرسول ﷺ هذه أول ميزة فيها

ثانى ميزة فى سيرة الرسول ﷺ : أن السيرة عادة اسلوب قصصى والأسلوب القصصى أسلوب محبب قريب للنفس يفهمه حتى العوام يعنى ممكن تلاقى إنسان عامى ما يحسن فهم الدليل ولا يحسن فهم الآية ولا الحديث لكنه يعرف مواضع من السيرة النبوية فإذا خاطبته بالسيرة النبوية فهم واستوعب وقبل لأنه يعلمها وهى مواضيع قصصية محببة للنفس

الأمر الثالث : أن المواضيع الأساسية فى السيرة ثابتة مشهورة ليست بحاجة إلى الأسانيد يعنى حينما نذكر مثلا قصة بدر أن الرسول ﷺ قاتل الكفار فى بدر وأن سبب المعركة كذا ، قصة صلح الحديبية هذه مشهورة متداولة لا تحتاج إلى بحث إسنادى ، بخلاف لما تأتى تستدل لمخالف بحديث فإنه ينازعك فى ثبوته بينما مواضيع السيرة العامة لا تحتاج إلى ثبوت لأنها مشهورة متداولة متلقاه معروفة بين أمة المسلمين

الأمر الرابع فى مزايا السيرة النبوية والاستدلال بها : أن السيرة النبوية لا يدخل فيها محكم ومتشابه ، تطبيق عملى ما يدخل المحكم ولا المتشابه بخلاف النصوص ، أنت ممكن تتناقش مع شخص فى مسألة الولاء والبراء ويتعبك حتى تقرر له أن استدلاله من باب المتشابه ، لكن حينما تأتى بواقعة من السيرة انتهى الموضوع ما يستطيع أن يفعل شيئا ونحن جربناها يعنى خذوا عن تجربة نحن جربنا هذا ، لما تتناقش معهم فى أن هذه الآية أو هذا الحديث محكم أو متشابه يطول الكلام لكن حينما تقول له أنا لا أناقشك فى النص لكن تعال هذه سيرة الرسول ﷺ فى باب الولاء والبراء كان الرسول ﷺ يفعل كذا تنكر هذا ؟ يقول لا ، كان الرسول ﷺ يفعل كذا تنكر هذا ؟ يقول لا ، نقول له طيب هذا الذى نريده ، ولذلك يعتبر الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فى اختياره مواضع من السيرة لتقرير أمور الدعوة بالذات قضية التوحيد والولاء والبراء يعتبر فى هذا من أهل الذكاء الكبير - رحمه الله - ومن أهل الدراية بكيفية المجادلة وبكيفية تقرير الحق وتبليغه وإيصاله إلى الناس فهذه الرسالة دليل على هذا الأمر ولم يطيل الأمر

وهذه الوقفة الأخيرة : أنه أتى بها مختصرة لم يطيلها مع انه كان ممكن يكثر اكتفى فقط بستة مواضع من السيرة النبوية فى تقرير هذا الأمر الذى يدعو إليه ستة مواضع فقط كان ممكن يطيلها كان ممكن يجعلها كتاب كبير ويأتى بمواقف كثيرة من السيرة تؤيد الكلام الذى يريد الدعوة إليه ويريد بيانه وتقريره ، ولكنه قصر الرسالة على موضوع واحد وهو موضوع إخلاص العبادة لله وحده دون سواه والبراءة من

المشركين والبراءة من الكفر وأهله ، وهذان الأمران هما أصل الدين فإن **الإسلام هو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله** هذا هو الإسلام وهذا الذى يدعو إليه الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ، ومن الأمور العجيبة التى تلاحظها وأنت تقرأ هذه الرسالة كأن الإمام يرد على أناس معاصرين اليوم ، كم مرة سمعتم من يزهد فى أمور التوحيد ويقول يا أخى خلاص أنت رجعتنا بس توحيد وإخلاص يا أخى الناس الآن يواجهون مشكلة مع الليبرالية يواجهون مشكلة مع العلمانية يواجهون مشكلة مع الشيوعية يواجهون مشكلة مع الرأسمالية يا أخى أنت تتكلم الناس ليس عندهم مشكلة فى التوحيد المشكلة الآن فى كيف توزع الثروة هؤلاء الحكام الذين تسلطوا على رقاب الناس — هو هكذا يقول ما نقول مثل هذا الكلام — يأكلون أموالهم ويتكلم فى قضية توزيع الثروة .. الخ يجعل هذا هو الموضوع انه لا نحتاج إلى التوحيد يا أخى الكلام فى التوحيد وبالذات ما ورد عن الرسول ﷺ يا أخى هذا التوحيد الساذج الذى لا يوجد عند الناس اليوم لماذا تكلمنا فيه ؟ كلمنا فى المواضيع التى نحتاجها الآن أمام مواجهة الثقافة الأوروبية والعولمة ، يزهد فى موضوع التوحيد ، تجد آخر يتكلم يقول يا أخى إلى متى لا ترضى أن تفهم ؟ نحن الآن نعيش فى قرية صغيرة لا نستطيع أن نتعامل مع الناس أن هذا كافر وهذا مسلم لا نستطيع أن نعلن ما تريده أنت من قضية البراءة من الكفر وأهله يا أخى نحن إذا فعلنا هذا ذهبت مصالحنا وتعثرت أمورنا ، الإمام فى هذه الرسالة يرد على هؤلاء

أول موضع يورده فى هذه الرسالة يقول ما معناه : بعث الله رسوله ﷺ بالرسالة والإنذار بقوله تعالى " يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر " فأمره بالنذارة من الشرك ودعوة الناس إلى التوحيد **علما بأن** المجتمع كان يسود فيه الربا والزنا وقتل النفس التى حرم الله وفيه من الذنوب والمعاصى والكبائر الشئ الكثير ، المجتمع فيه خطايا كثيرة وأشياء كثيرة ، لم يأمر الله عز وجل رسوله ﷺ بالبلاغ بأى شئ من هذه الأمور ، بدأ بماذا ؟ بالتوحيد ، المجتمع فيه زنا فيه قتل النفس التى حرم الله فيه وأد البنات فيه أكل مال الناس بالباطل فيه الظلم فيه العرى حول الكعبة فيه الخمر فيه الربا فيه البيوع المحرمة فيه وفيه وفيه ، ما بدأ الرسول ﷺ بشئ ولم يؤمر الرسول ﷺ بشئ من هذا جميعا ، بل أزيدك من الشعر بيتا - كما يقولون - استمرت هذه الدعوة على هذا المنوال كم سنة ؟ ثلاثة عشر سنة طوال العهد المكي ، فأين هؤلاء الدعاة الذين يزهدون فى التوحيد ويزهدون فى تعليم الناس إخلاص العبادة لله وحده دون سواه الذين يزهدون فى أن نمكث نعلم الناس كيف يوحدوا الله ويعبدونه وحده دون سواه ونحقق دعوة الأنبياء ، أين هؤلاء الذين زهدوا فى التوحيد ؟ أين هؤلاء الذين يقولون إن المجتمع اليوم بحاجة إلى توزيع الثروة وتساوي الناس فى الفرص المتاحة للحكم وللناس أين هم ؟ قريش علمت هذا وجاءت تراود الرسول ﷺ إن كنت تريد حكم إن كنت تريد كذا ما فعل ، وبقى على دعوته وحده الدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده دون سواه إذن الموضوع وإن كان كتبه الشيخ فى زمنه قبل ثلاثة قرون إلا أنه موضوع من موضوعات الساعة — سبحان الله —

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – تأمل – رحمك الله تعالى – ستة مواضع من السيرة كما ينبغي ، وافهمها فهماً حسناً ، لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه ، فإن كثيرا ممن يدعي الدين ويعد من الموحدين لا يفهم هذه الستة كما ينبغي.

قال : **تأمل** يعنى أنظر بتفكر وبتدبر وبتأنى فى هذه المواضع هذا ليس موضوع يطرح سريعًا ويُقرأ سريعًا لا ، هذا موضوع مهم عليك أن تتأنى فى تفهمه وفى تأمله وأن تحسن فيه الفهم والمعرفة والنظر والتدقيق

لعل الله يفهمك دين الأنبياء : ما هو دين الأنبياء ؟ يقول الرسول ﷺ " الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد " صححه الإمام الألبانى فى السلسلة الصحيحة

ما هو دين الأنبياء الواحد ؟ " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " هذا دين الأنبياء ، ديننا واحد " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " ما من نبى بعث إلى قومه إلا وكان فى قومه من المساوئ والأخطاء مثل ما فى قريش وأكثر ، أمة ما فيها إلا السحر أمة ما فيها إلا التطفيف فى الميزان .. الخ مع ذلك كل الأنبياء دعوتهم واحدة " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " هذا الدين الواحد هذا دين الأنبياء ، ولذلك كم مرة ننبه وينبه أهل العلم ونحن تبع لهم ومن طلبتهم نقول : أى داعية يدعو الناس ولا يجعل محور دعوته توحيد الله وإخلاص العبادة لله وحده دون سواه فقد خرج عن طريقة الأنبياء فى الدعوة ، وهذا الأمر من المحاور التى تبين لكم الأحزاب والطرق والجماعات التى خرجت عن طريقة الأنبياء شاءت أم أبت فالدعوة التى تقوم على توزيع الثروة أنه هو المبدأ الأساسى لها ، والدعوة التى تقوم على مبدأ الوصول للحكم وأنه المبدأ الأساسى لها ، والدعوة التى تقوم على مبدأ إصلاح المجتمع وأن هذا هو المبدأ الأساسى لها دون النظر لموضوع التوحيد كل هذه خرجت عن طريق الأنبياء ، دين الأنبياء يقوم على توحيد العبادة لله وحده دون سواه " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " هذا دين الأنبياء

قال : **لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه** : أى البراءة من الشرك وأهله ابتعد عن الشرك وعن أهله **فإن أكثر من يدعى الدين ويُدعى من الموحدين لا يفهم هذه الستة** كثر من الناس اليوم يقول لا إله الا الله محمد رسول الله ويصلى ويصوم لكنه لا يفهم أصل الدين يفعل هذا كله ويأتى مثلا يطوف بالقبر ويسأل صاحب القبر يصلى ويصوم ويأتى مثلا يقول يا أخى ما فى داعى أن تخرج الدين عن المسجد اترك دينك وعبادتك بينك وبين ربك أما فى الحياة فخذ بالمدنية وخذ بالحضارة يصلى ويصوم ويأتى يقول هذا الدين هو التراث أنا أرجع له حينما أريد أن أعرف كيف أصلى وكيف أصوم لكن فى أمور حياتى اليومية أنا لا أحتاج هذا التراث أحتاج المدنية والحضارة التى وصلت إليها أوروبا وأمريكا فأنا أحتاج أن أرجع إليهم لأعرف كيف يديرون حياتهم لأصنع مثل ما صنعوا ، هذا بالله ما ينافى أصل التوحيد ؟ هذا ينافى أصل التوحيد ، فهو يدعى الدين ويدعى أنه من الموحدين ثم هو يأتى بخلاف هذا

وستجدون أن كفار قريش فهموا الدين وفهموا الدعوة أحسن من فهم بعض من يسمى اليوم بأنه من المسلمين ، لما سمعوا كلام الرسول ﷺ قالوا " أجعل الآلهة إلها واحدًا " ؟! فهموا هذا ، لما صارت بعض الأمور معهم فى مواجهات مع الرسول ﷺ وقفوا وواجهوا لأنهم فهموا ما هو مرمى ومقصد هذه الدعوة التى جاء بها الرسول ﷺ بينما بعض الناس اليوم يردد الآيات نفسها ويقرأ الأحاديث نفسها ويقوم يصلى ومع ذلك قد يظهر من كلامه أو من لسانه ما قد يؤدى به إلى الخروج من الدين والملة وهذه فاجعة من الفواجع يمكن الناس لا يتصورون مثل هذه الأمور

الموطن الأول : قال : **قصة نزول الوحى وفيها أن أول آية أرسله الله بها " يا أيها المدثر * قم فأنذر " إلى قوله " ولربك فاصبر "** قصة نزول الوحى أول ما بدأ بالرسول ﷺ بنزول الوحى نزل عليه جبريل ﷺ بـ " اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم " هذه أول آية نزلت لكن الرسول ﷺ بنزول هذه السورة أو الشطر الأول من هذه السورة هل أرسل أو نبئ ؟ نبئ ، إذن أول سورة نزلت على الرسول ﷺ بلغ بها إلى درجة النبوة هى سورة اقرأ ، وجاء فى الحديث أن أول سورة نزلت على الرسول ﷺ " يا أيها المدثر " وكلها صحيحة كيف نوفق بين الحديثين ؟ نقول : لا معارضة فأول سورة نُبئ بها الرسول ﷺ سورة اقرأ ، فهى أول ما نزل فى النبوءة وأول سورة أرسل فيها الرسول ﷺ وأمر بالنذارة هى سورة المدثر فسورة المدثر أول ما نزل فى الرسالة لذلك انظروا عبارة الإمام إلى أى مدى هى دقيقة — رحمه الله - ؟ قال : **قصة نزول الوحى وفيها أن أول آية أرسله الله بها** ، إذن هو يتكلم عن أولية مطلقة أم مخصوصة ؟ أولية فى الإرسال ، إذن كلام الإمام لا يخالف ما ثبت فى أن أول ما نزل على رسول الله ﷺ وهو أول ما نبئ به ﷺ وهى الأولية المطلقة هى نزول شطر سورة العلق

يقول : **فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا وعرفت أيضا أنهم يفعلون شيئا من العبادة يتقربون بها إلى الله مثل الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك وأجلّها عندهم الشرك فهو أجل ما يتقربون به إلى الله تعالى عندهم كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " " ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " وقال تعالى " إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون " فأول ما أمر الله به الإنذار عنه قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء .. الخ**

أقول : هنا المصنف يقول لك : أول ما أرسل الرسول ﷺ بـ " يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر " إذن أمر الرسول ﷺ بالنذارة ، النذارة فى ماذا ؟ " وربك فكبر " النذارة فى أن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده دون سواه ، فالمؤلف ماذا يقول ؟ يقول : مع أن قريش كان فيها أنواع من المعاصي والذنوب الشئ الكثير وهى تعرف أن هذه معاصي وذنوب بل حتى الشرك تعرف أن هذا شرك

فهم يصلون ويطوفون ويحجون ويلبون فيقولون [لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك] ويقولون " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " إذن هم يعرفون الشرك ويعرفون التوحيد ويعرفون أن هذا ظلم وعدوان ، الأمور التى يعرفونها بدليل حلف الفضول كان فى الإسلام ولا كان فى الجاهلية ؟ كان فى الجاهلية ، ماهو موضوعه ؟ موضوعه انهم اجتمعوا أن يتحالفوا ويتناصروا على أمر وهو رفع الظلم عن المظلوم وإعانة المحتاج هذا موضوع حلف الفضول وكان من أحلاف الجاهلية ويقول الرسول ﷺ " لقد شهدت مع عمومتى حلفًا فى دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لى به حُمر النعم ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت " صححه الإمام الألبانى

وهذا الحلف يدل أنهم كانوا يعرفون أن هذا ظلم وأن هذا اعتداء وأن هذا لا يجوز كانوا يعرفون هذا وإلا لماذا يتحالفون ؟! إذا كان هذا الشئ عندهم مقرر ومشروع ومحبب وسائغ ؟! لماذا يتحالف على نصرة مظلوم ؟ ويعرفون النكاح الصحيح ويعرفون الأنكحة التى هى سفاح يعرفون هذا ويعرفون هذا ، يعرفون الزنا ويعرفون الزواج المباح ، يعرفون أنواع من الظلم والاعتداء ، يعرفون أن الربا أكل مال الناس يعرفون هذا مع هذا كله ، ما اهتم الرسول ﷺ فى دعوته كما أمره الله إلا بموضوع " وربك فكبر " إلا بموضوع النذارة فجاء إلى قريش مرة ﷺ " لما نزلت : وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي : يا بني فهر يا بني عدي ، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال ﷺ : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ! فنزلت : " تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب " متفق عليه

صدع الرسول ﷺ بما أمر وقام وأنذر الناس ودعاهم إلى التوحيد وخوفهم من عذاب الله وأمرهم أن يتوجهوا إلى الله سبحانه وتعالى ، مقصود المؤلف أن الشرع ركز على التوحيد وإخلاص العبادة لله دون سواه دون غيرها من الأمور ، وهذا فيه درس للدعاة فيه درس لمن يتكلم اليوم أن يفهم أن موضوع التوحيد هو الأساس وهو الأصل وهو المحور التى تنطلق منه كل العبادات وكل الشعائر وكل الأخلاق وكل الأعمال التى يتحلى بها المسلم

غلط أنك تمسك الفرع وتترك الأصل غلط إنك تمسك تريد تعالج فى الناس — مصلح اجتماعى — تريد الناس أن يتزاوروا ويتحابوا وهم فى الأصل توحيد الله عندهم ضايع ، غلط انك تريد أن تعلم الناس كيف يحققوا مبدأ الشورى ومبدأ كذا وهم مضيعين التوحيد غلط انك تريد تعلم الناس كيف يصلوا إلى فرص متساوية فى الحكم وهم مضيعين التوحيد ، غلط انك تريد تعلم الناس كيف توزع الثروة والصح والخطأ فى ذلك وهم مضيعين التوحيد كل هذه الأمور تأتى بالتبع ، الأصل توحيد الله ، لماذا خلقنا الله ؟ خلقنا الله لنعبده ونوحده " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " هذا هو الموضوع

يقول المصنف : **وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بنى آدم ويقولون : ما نريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالإنذار عنه فى أول آية أرسله الله بها**

هنا ماذا يريد أن يقول المصنف ؟ الآن المصنف وظف هذا الموقف من مواقف السيرة لأمرين :

الأمر الأول : سبق وهو البدء بموضوع التوحيد

الأمر الثانى : بعض الدعاة يقول يا أخى أنا أعرف ان الناس عندهم هذه المشاكل لكن أنا لا أريد أن أصادمهم لا أريد أن أقول لهم انتم مشركين ان أفعالكم هذه أفعال شرك أنا إن بدأت معهم بهذه الأمور سيتركوني ولا يسمعوا إلى ، يقول أنا إن بدأت أدعوهم أقول لهم اتركوا الطواف بالقبور اتركوا الصلاة إلى القبر اتركوا كذا يقول سيتركونى لا يقبلوا منى لأنهم يرون أنى حاربت دينهم وحاربت اعتقادهم ، فالشيخ ماذا يريد أن يقول فى هذا الموقف ؟ - النقطة الثانية منه - انه بدأ الرسول ﷺ بالتوحيد رغم ان هناك مشاكل أخرى موجودة عندهم

النقطة الثانية : أنه بدأ بالتوحيد مع أنه يعلم أنه سيصادمهم فى دعوته هذه فيما يعتقدون أنه الدين

فهو يقول — رحمه الله - **وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بنى آدم ويقولون : ما نريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالإنذار عنه فى أول آية أرسله الله بها**

لم يقل من السياسية فى الدعوة أنى لا أبدأ بالتوحيد ، لم يقل انه من السياسة فى دعوى الناس انى لا أدخل معهم فى الأشياء التى يعدونها من باب العبادة والقربة ، لم يقل انه من الدبلوماسية فى الدعوة انى أبدأ معهم فى الأشياء الثانية البعيدة عن التوحيد ، لا ، بدأ بالتوحيد صادمهم فى ما هم يعتقدونه عرض نفسه معهم لمشاكلة من البداية لم يرضى أن يعطى الهوينة فى أمر الله وتوحيد الله وهذا خلاف ما عليه بعض الدعاة ، يدعى السياسة ويدعى الحنكة ويدعى الحكمة فيؤخر أمر التوحيد ويبعده ويقول اتركوهم أول شئ يحبونى ويرون أنى عندهم موضع قدوة ثم أدخل عليهم التوحيد ، لا ، الرسول ﷺ لم يصنع هذا الرسول ﷺ بدأ بالتوحيد مع علمه أن كفار قريش عندهم آثام وذنوب وخطايا أخرى مع ذلك بدأ بالتوحيد إشارة أن هذا هو الأهم وهو الأصل ، وبدأ بالتوحيد مع علمه أنهم يفعلون خلافه فإذا ما جاء وواجههم به صادمهم وهذا الذى حصل

فالداعى لابد أن يوطن نفسه أن موضوع التوحيد هو الأصل وهو الأساس وأنه لا يقبل المهادنة ، الآن كفار قريش جاؤوا وقالوا له يا مُحمد اعبد آلهتنا يوم ونعبد إلهك يوم لم يرضى هذا ليس صحيح " قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولى دين " انتهى ، موضوع مفاصلة موضوع براءة حاولوا فى الرسول ﷺ أن يغير ، أن يبدل ، ما بدل ﷺ إذن الإمام يريد فى هذه الوقفة أن يبين الأمر الثانى هذا

فهو يقول – رحمه الله – **فإن أحكمت هذه المسألة فيا بشراك خصوصًا إذا عرفت أن ما فى الإسلام بعدها أعظم من الصلوات الخمس ولم تُفرض إلا ليلة المعراج سنة عشر بعد حصار الشعب وبعد موت أبى طالب**

سنة عشر بعد حصار الشعب معناه ، المؤلف - رحمه الله - أخرج الثلاث سنوات التى كان الرسول ﷺ محاصرًا فيها فى الشعب وكذا تجدون عن ابن عباس قال " لبث النبى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشر سنين " رواه البخاري فى الصحيح

طيب المعروف ان الرسول ﷺ مكث يدعو الناس كم سنة ؟ نقول أخرجوا سنوات الحصار ، أخرجوا السنوات الثلاث التى هى سنوات الحصار

يقول : **فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة والعداوة البالغة كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة رجوت أن تعرف المسألة**

يريد أن يقول المصنف – رحمه الله – انه لم يشتغل الرسول ﷺ فى دعوته فى العهد المكى إلا بتقرير هذه المسألة بالرغم من كل ما حف بها ، والذى حف بها أمران :

الأمر الأول : أن هناك ذنوب وخطايا ومعاصى أخرى ومع ذلك بدأ بالتوحيد

الأمر الثانى : أن هذه الدعوة إلى التوحيد ستجعله ﷺ يصادمهم مباشرة فيما يعتقدونه ويدينون به ، ومع ذلك بدأ بالنذارة به وهذا شأن الأنبياء وهذا شأن الدعاة و " لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم " ولذلك قريش بماذا وصفت محمد ﷺ ؟ قالت : يفرق بين الإبن وأبيه وبين الأخ وأخيه وبين الزوج وزوجته يفرق بينهم ، صدع ﷺ قالوا هو ساحر لأنه استطاع أن يفرق بين الناس ، قالوا هو ساحر لأنه استطاع أن يؤثر على الناس بما يقرؤه من قرآن ، قالوا هو ساحر لأنهم يرون الوحى عليه فيظنون نزول الوحى عليه كما يحصل مع السحرة من الأحوال أثناء تلبس الجن بهم وإخبارهم بما يدور وما يريدون وما يستنفع به بعضهم من بعض

إذا فهمت هذا الموضع ودلالاته على قضية التوحيد فيا بشراك ، لأن الأن بدأت تتصور طريقة دعوة الأنبياء فمحورها " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا " محورها على تقديم التوحيد وعبادة الله والبراءة من الشرك وأهله ، محورها على أن نبدأ به مهما حصل حتى ولو كان القوم الذين نريد أن نكلمهم هم على خلافه تمامًا كما صنع الرسول ﷺ